

المستخلص

عبد الستار جبر. الجهود النقدية لدى عبد الفتاح كيليطو (رسالة ماجستير) -. بغداد : الجامعة المستنصرية : كلية الاداب : القسم اللغة العربية ، ٢٠٠٧

بدءاً قبل أن أُقدِّم مُلخّصاً بسيطاً للتعريف باطروحتي الماثلة بين أيديكم، لتتال من لُدُنكم شرفَ التقييم، أن أُعبّرَ عن شعوري بالأسى لعدم تمكن أسنّادَيّ الفاضلين: مشرفي الدكتور خالد علي مصطفى، والدكتور نجم عبد الله كاظم من حضور المناقشة، لما كان سيضيف حضورهما من إغناءٍ لها، ستعوضُه ملاحظتُكم وتثريه آراؤكم بالتأكيد.

"الجهود النقدية لدى عبد الفتاح كيليطو"، هذا هو عنوان أطروحتي الذي تمت الموافقة عليه، والذي شرّعتُ أمامي نوافذ البحث في مجال تحفّه مصاعبُ الحصول على المصادر الحديثة والقديمة على السواء، في زمن تشخّ فيه الكلمة وتبدخ فيه الرصاصة، وفي خضم الصراع بينهما، ولدت هذه الأطروحة المتواضعة، التي أرادت أن تنفتح على العام من خلال الخاص، أي أن تستكشف وتراجع مقطوعاً عرضياً من تجربة النقد العربي الحديث، من خلال جهود ناقد حديث ينحدر من المغرب العربي هو عبد الفتاح كيليطو، وربما تتكفل الأطروحة بالإجابة عن تساؤل جوهرى هو لماذا كيليطو دون غيره من النقاد؟

لقد شهد نقدنا الأدبي العربي الحديث منذ سبعينيات القرن الماضي تحولاً واضحاً في اتجاهاته النظرية والتطبيقية، إثر إجتياح رياح البنيوية وما أعقبها من تيارات نقدية أخرى كالتفكيكية والسيميولوجية ونظرية التلقي والتناص وغيرها، لتخومه وتضاريسه، فغيّرت من معالمها، ورسمت خريطة جديدة لها، لكنها ما زالت خريطة مفتوحة الحدود، تستقبل بانفتاح رياح تغيير أخرى جديدة، تهب عليها من الغرب، أفرزت تراكمات كبيرة من الكتابات المختلفة في طريقة تعاملها وإستجابتها لهذه المتغيرات، بات من الضروري مراجعة هذا المنجز النقدي، من خلال رصد التجارب النقدية للنقاد وتقييم جهودهم، والكشف عن طرائق معالجتهم للقضايا والإشكاليات التي أفرزتها أسئلة النقد الجديد وإتجاهاته سواء في تناوله للنصوص الحديثة أو القديمة على السواء، بل إن القديمة تبدو الحاجة إلى مراجعتها أكثر إلحاحاً، لكي تتأسس رؤيا نقدية مثمرة وفاعلة للتعامل مع التراث وفهمه، من أجل بناء هوية نقدية خاصة، قادرة على منحنا صفة التمايز والإنتاج، ومغادرة البعد الإستلابى المتمثل بدور الإستهلاك والإستجابة السلبية، ولن يتحقق ذلك إلا إذا استطاع هذا النقد، على الأقل، أن يطرح أسئلته الخاصة في تعامله مع موضوعاته، لا أن يستعير أسئلة خارجية. من هذا المنطلق وجدت الأطروحة في أعمال الناقد المغربي عبد الفتاح كيليطو ما يمكنها أن تكون خطوة بناءة في هذا الإتجاه، فحاولت تفحص هذه الأعمال، ومقاربتها نقدياً، ولم تمل إلى إستعراض الجهود النقدية للناقد عبر تجميعها أو تصنيفها أو التعريف بها، بل إتجهت إلى ممارسة نقد النقد معها، لأن الأخيرة تمنحنا رؤية أوضح وأشمل في إدراك وتفهم هذه الأعمال، ومن ثمّ تقييم تجربة الناقد ومنجزه بشكل أكثر موضوعية مما لو اقتصر على إستعراض جهوده فقط.

توزعت الأطروحة بين تمهيد وثلاثة فصول، وربما بدا التمهيد بمثابة فصل، لا لكونه إستغرق من الحجم أكثر مما هو مفترض له منهجياً فقط، بل لأنه تجاوز الحدود المفترضة له للتعامل مع موضوعه أيضاً، فقد رأى الباحث أن ثمة ضرورة منهجية تقتضي تقديم صورة واضحة عن طبيعة الفضاء النقدي الذي تنتمي إليه كتابات عبد الفتاح كيليطو النقدية، وهو النقد المغربي الحديث، لأن الحديث عن الجهود النقدية لناقد ما لا يمكن معرفة قيمتها وأهميتها من دون الإطلاع على طبيعة هذا النقد والمسارات التي يتحرك فيها، وما هي أهم ملامحه النظرية والتطبيقية في

المرحلة التي برزت فيها هذه الجهود، ولمعرفة ما الذي قدمته للفضاء النقدي الذي تنتمي إليه. ولعل هذا يفسر بشكل جلي سبب إتساع متن التمهيد.

إنشغل الفصل الأول بمحاولة وضع إطار نظري لمنظومة المفاهيم والمصطلحات التي تعامل معها كيليطو في دراسته للأدب، ولاسيما للأدب العربي القديم الذي عني به بوجه خاص، ولتحري وضبط رؤيته النقدية الخاصة لهذه المفاهيم، وطريقة معالجته لإشكالياتها، وكيفية دراستها بوصفها أدوات إجرائية. تصلح معاينتها وتحديد أبعادها النظرية والتطبيقية أن تكون أفقاً وطريقاً يفتتح على التعرف على ما عني به الفصلان اللاحقان.

حدّد الفصل الثاني متنّه البحثي في تبيان طرائق البناء النقدي الخاص بالناقد عبد الفتاح كيليطو، والتي إتضح أنها تستند الى ثلاثية متلازمة هي النص والرؤية والمنهج. حاول الفصل إكتشاف العلاقة الترابطية التي تجمعها، وقياس أثرها في تحديد الخيارات الدراسية للناقد، وتوجيه مساراته البحثية.

فيما عني الفصل الثالث والأخير بالكشف عن آليات التحليل النصي و إستراتيجيات القراءة لدى عبد الفتاح كيليطو، وإتسع متنّه للإجابة عن سؤال أساسي تصدّى الفصل للإجابة عنه بالتفصيل هو: كيف يُحلل كيليطو النصّ؟ من خلال السعي لإيضاح ما النص لديه، عبر التطرق الى التصورات النقدية والرؤى المنهجية التي إعتدها في مقاربتة لهذا النص.

ولا يفوتنا التأكيد أن ما ستمخض عنه الأطروحة من صورة لهذه الجهود النقدية، لا تعكس صورة فردية فقط، بل إنها تمنحنا تصوراً جزئياً لطبيعة المشهد النقدي العربي الحديث، وتكشف لنا عن نمط من أنماط إستجابته تجاه المتغيرات والمستجدات المؤثرة في مساراته.

ومن خلال النظر في الكيفية التي يزاولها كيليطو لدى تحليله النصوص، وتفحص الأدوات والآليات التي يستند إليها في ممارسته النقدية، فضلاً عن الكشف عن أصوله النظرية التي غدّت مفاهيمه الإجرائية في تناوله للقضايا والإشكاليات النقدية الحديثة والقديمة بشكل خاص. تبيّنت لنا جملة من القضايا الأساسية التي يمكن على ضوئها رسم مشهد واضح، الى حد ما، عن طبيعة الجهود النقدية وإتجاهها وأهدافها لدى عبد الفتاح كيليطو:

١- فيما يخص إتجاه هذه الجهود: يمكن القول أنها تبنّت وإختارت النص العربي القديم موضوعاً أساسياً لها، بل يكاد يكون وحيداً، لممارسة فعاليتها التحليلية وأنشطتها التأويلية.

٢- فيما يتعلق بطبيعة هذه الجهود: نستطيع القول إنها ذات وظيفة تحليلية، تميل الى مقارنة النصوص والإشتغال عليها، وتقليبها من جميع وجوهها، أكثر من ميلها الى التنظير والتفعيد الإصطلاحي، أو تبني إتجاه أو تيار أو منهج نقدي بعينه، لكنها في الوقت نفسه تفيد منها جميعاً، من معطياتها وأفكارها الرئيسية، مما تصلح وتلائم طبيعة موضوعها الخاص.

٣- فيما يكشف عن أهداف هذه الجهود: يمكن الحديث عن كونها جهوداً ترمي الى إعادة قراءة وفهم الأدب العربي القديم ومن ثم التراث، ليس عبر إسقاط رؤى وأفكار معاصرة وحديثة من خلال تطبيقها عليه، أو محاولة تأصيلها عبر البحث عن جذور لها في تربته، بل عن طريق الكشف عن أنساقه الثقافية المهيمنة على أنماط إنتاجه، لتجنب إطلاق الأحكام عليه بالإعتماد على أنساق حديثة مختلفة عنه.

عبر تسعة مؤلفات وما ينوف على الثلاثين بحثاً وورقة نقاشية لكلييطو، لم تغادر مجالها الذي إختارته بعناية وقصد، وهو التراث، يمكن القول إن ثمة مشروعاً نقدياً ينهض على أرضية هذا الجهود التأليفي، الذي يسعى الى مغادرة البنى التقليدية في التفكير النقدي، والى الإختلاف عن البنى الحديثة المهووسة بخلط المناهج والإفراط في إستعمال المصطلحات، واللجوء الى التطبيق القسري للأفكار والنظريات على نصوص لا تنتمي الى السياقات الثقافية التي نشأت فيها تلك النظريات والأفكار. إنه مشروع يسعى لبلورة قراءة نقدية جديدة للنص التراثي تحديداً، بعد فهمه

وإعادة تأويله والإقتراب من مناطق غير المفكر فيها أو لم يفكر أحد بتناولها، فضلاً عن إثارة إشكالياته وقضاياه الأساسية، ليس من أجل منحها بُعداً عصرياً جديداً بل من أجل تحديد أسبابها ونتائجها، والكشف عن شبكة العلاقات التأثيرية التي حكمت نموها وتطورها وأقولها.

ورغم الحرص المتواضع الذي سعى الباحث لإبرازه في تحديد أهم الملامح والخصائص التي تميّز هذه الجهود، إلا إنه يرى أن ما إستطاع إيضاحه، ليس كافياً، ويفتقر الى تفاصيل أكثر، وتغطية جوانب أخرى، حالت جملة من الأمور المعرّقة، دون الخوض فيها، لإنجاز مباحث إضافية، كان في المسودة المُفترضة للأطروحة مساحة مخصصة لها.